



محمد محمودي على

السنة الرابعة

من الطبيعي ان يحظى الحديث الشريف بعناية فائقة خاصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان احاديثه تعتبر :

أ - ثروة فكرية وتاريخية لسيرة الرسول (ص) وما حفلت حياته بالاحداث والظروف والملابسات وما تجلت به دعوته المباركة من أحداث خطيرة غيرت مجرى تاريخ العالم .

ب - احاديث النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لاستنباط الاحكام الشرعية .

ج - احاديث النبي (ص) ثروة لغوية وادبية ناصعة وتناج رفيع يساعد على تنمية الفكر البشري واستيعاب المفاهيم بشكل تفصيلي .

كما ان اتخاذ المسلمين للرسول الكريم (ص) قدوة حسنة في جميع المجالات، له أثره الكبير حيث قال تعالى « ولكم في رسول الله اسوة حسنة » لنرى ما يتمتع به الحديث الشريف ومن عمق الشخصية الاسلامية للرسول القائد من قدسية واحترام كبيرين في حياة المسلمين العامة .

وللتعرف على اهمية ومكانة هذه السيرة المباركة من خلال ما عرضه الامام على (ع) من احاديث شريفة في نهجه تمثل بها قلبه ولسانه من تبليغ الاحكام بعد النبي بصورة اخص وبدل كل جهد لاعادة الصورة الاسلامية للامة من جديد . لان الامة الاسلامية بعد وفاة الرسول (ص) كانت بحاجة الى من يوجهها توجيهها

سليما ينسجم وسعة الاسلام وشموله لكل الاحداث والقضايا المستحدثة . خاصة بعد عملية اقصاء « أهل البيت » عن المرجعية السياسية والفكرية ( والسر في ذلك ان الائمة من آل البيت عليهم السلام ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من جهة انهم ثقة في الرواية بل لانهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الاحكام الواقعية(١) .

والامام على (ع) نشأ وترعرع في أحضان الرسالة فقد كانت ولادته الطاهرة في الكعبة المشرفة حيث شرفه الله من السجود للاصنام ، وما ان صدع الله النبي (ص) بالنبوة والتبليغ بالدعوة المباركة حتى سارع الى الايمان بالدعوة الجديدة فهو أول من آمن به من المسلمين واستن بسنته ( نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي (ص) فاقتديته<sup>(٢)</sup> وكان من الطبيعي ايضا ان يرافق النبي (ص) في دعوته وجهاده وحروبه مع المشركين وان يقاسى ويلاقى أشد الظروف والمحن في سبيل الدين الجديد ومن الطبيعي أيضا لا بد له من ان يعيش احداث نزول القرآن ويمتلىء قلبه بالايمان الكامل ، ومما يؤيد ذلك ما ورد عن سليم بن قيس : قال : سمعت عليا (ع) يقول ما نزلت عليه آية من القرآن الا ودعا الله أن يفهمني اياها ويحفظني ، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها فحفظته واملاه علي فكتبته<sup>(٣)</sup> وعن نصير بن سليمان الاحمسي عن ابيه عن علي (ع) قال : والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، واين نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا<sup>(٤)</sup> .

وقد آخى النبي (ص) بينه وبين الامام على في عدة احاديث منها ما رواه ابن الاثير : ( وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصي وخليفتي فيكم فاحجم القوم جميعا وقلت . . واني لاحدثهم

- 
- (١) المظفر ، الشيخ محمد رضا ، ج ٣ ، النجف ، ص ٦١ .
  - (٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، مجلد ٣ ، ص ٦ .
  - (٣) كتاب سليم بن قيس الكوفي ، النجف ( لا . ت ) ص ١٠٦ .
  - (٤) البخاري ، فتح الباري ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

منا وارمضهم عينا واعظمهم بطنا واخمشهم ساقا - انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه  
فاخذ برقبتي ثم قال : ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوه<sup>(٥)</sup>

فهذه المنزلة العظيمة رافقته منذ ان شب يافعا حتى التحاق النبي (ص)  
بالرفيق الاعلى فظل صفو النبي جزءا متماسكا مع شخصية صاحب الرسالة فهو  
المصدر المهم والموثق والمعتمد في روايته للحديث لا سيما وانه شهد الوقائع  
وشاهدها وعاش ظروفها التاريخية وملابساتها بشكل تفصيلي .

دور الامام على (ع) بعد وفاة الرسول :

كان لا بد للنبي (ص) ان يستند الى الصفوة الرساليين من بعده اذ ليس من  
المعقول ان يترك السلطة من بعده ملكا عضوضا تتلاعب بها الاهواء والنزعات الضيقة  
والرواسب الجاهلية اذ ان مرجعية أهل البيت عليهم السلام اكدتها وقائع لا تعد  
ولا تحصى وقد بين النبي (ص) انهم الثقل الثاني الذي لا يفترق عن القرآن  
ولا ينحرف عن أخذ حظه قيد انملة<sup>(٦)</sup> .

وباعتبار ان الامام على (ع) صاحب الامامة الشرعية كان لا بد من مواجهة  
الانحراف والتصدي له لئلا تفقد الامة مقوماتها الرئيسية باسلامها وتبتعد عن  
الخط الرسالي الواضح ، فقد أكد الرسول (ص) غير مرة على ارتباط الكتاب  
بالسنة والى هذا المعنى تشير الاحاديث الشريفة منها ما جاء في صحيح الترمذي  
( روى بسنده عن جابر بن عبدالله : قال : رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم  
عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعتة يقول : يا أيها الناس اني تركت  
فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا الكتاب الله وعترتي أهل بيتي )<sup>(٧)</sup> .

وفي مستدرك الصحيحين ( روى بسنده عن مسلم بن صبيح عن زيد بن  
أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم الثقلين كتاب  
الله واهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض<sup>(٨)</sup> .

- 
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٢ ، القاهرة ، ص ٤١ .  
(٦) مجموعة محاضرات علوم القرآن - السنة الثانية .  
(٧) سنن الترمذي ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .  
(٨) مستدرك الصحيحين ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

لان عملية اقضاء أهل البيت ( عليهم السلام ) عن المرجعية السياسية والفكرية تمثل بداية ونشأة الانحراف مع الخط الرسمى الجديد .

كما ان الحديث الشريف فى تلك الفترة ازداد اهمية واتساعا لانه لا بد أن تواجه المشاكل المستحدثة والاسئلة التى تثار أحيانا لما يرد من اشكالات لم تعاصر زمن النبى (ص) كما ان أهميته ازدادت كثيرا ( لان الحياة الاسلامية كانت قائمة على أساس الكتاب والسنة فمن الطبيعى أن يتسع الحديث وتزداد أهميته واقبال الأمة عليه ويكتسب أكبر قدر من الاحترام والقدسية فى نفوس المسلمين جميعا<sup>(٩)</sup> .

وكان من الطبيعى ان يرجع الصحابة بعد وفاة النبى (ص) الى ذاكرتهم لكى تسعفهم بما سمعوه من النبى ورأوا منه ولذلك أحسوا بفراغ كبير لان ذاكرتهم لم تسعفهم الا بقدر محدود وبصورة مشوشة وهذا مما أدى الى فتح آراء جديدة ودخول أفكار غريبة ظلت على طول التاريخ مسرحا للفتن والاهواء نضيف الى ذلك الحصار الذى وضعه الخليفة الثانى على السنة وسياسته العامة فى منع الرواية عن النبى والتركيز على القرآن فحسب . . . كما ان عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الانصارى فقال قد أكثرتم الحديث عن رسول الله فحبسهم واخرج الذهبى فى التذكرة عن ابى سلمة قال قلت لابى هريرة اكنتم تحدث فى زمان عمر هكذا ؟ فقال لو كنت احدث فى زمان عمر مثل ما احدثكم لضربنى بمخفقتة وذكر الحاكم فى المستدرک ان عمر حبس ابا ذر فى المدينة حتى اصيب كما حبس ابن مسعود وابا الدرداء وقال لهم ما هذا الحديث عن رسول الله ؟

**وسواء كان هذا المنع والموقف الشديد من الخليفة الثانى ناتجا عن تخوفه من افتراء الرواة على الرسول او تخوفه أحيانا من صدق من لا يتهم لديه بالكذب من صحابة الرسول كأبى ذر وعبدالله بن مسعود فقد أدى ذلك الموقف الخليفة من ناحية الى خسارة كثير من النصوص وادى من ناحية اخرى الى تأجيل عملية النقل**

---

(٩) مجموعة محاضرات علوم القرآن - السنة الثانية .

الموسع عن النبي سنين عديدة ونحن نعلم ان الفاصل الزمني بين الواقع والنقل كلما اتسع وازداد تعرض النقل لآخطار أكثر ٠٠٠ كما كان العامل السياسي يلعب دورا مهما في وضع الاحاديث حيث كانت الكيانات غير المشروعة تحاول جاهداً عن طريق الدس واستئجار الرواة لوضع النصوص أن تسبغ على نفسها طابعا شرعيا كما فعل معاوية في التنقيص من على (ع) (١٠) .

فكان لا بد للامام ايضا من تذكير الامة بما هي عليه وما تفرضه المصلحة الاسلامية من تدبر وحكمة في معالجة تردى الاوضاع والانحراف الذي اصاب الامة نتيجة الذين تولوا الحكم بعد الرسول (ص) بحكم ظروفهم المتعددة وكون اتجاه الدعوة الاسلامية يتطلب أعمالا بحيث يكونون بعيدين عن الرسول وملازماتهم له في أغلب الاحيان ولم يكونوا حينئذ معدين اعدادا سابقا لعملية المرجعية السياسية والفكرية بعد وفاة الرسول (ص) وهذا ما تفرضه طبيعة الاشياء في تلك المرحلة كما يجب أن نعرف ( ومما لا ريب فيه ان التشريع الاسلامي لم يستوف اغراضه ولم يبلغ أهدافه في حياة النبي (ص) في سبيل التشريع والحكم ، ولم تنقطع بوفاة النبي (ص) حاجة الناس الى التبليغ والهداية والتعليم والتفسير لمتشابه الكتاب والاخذ على مناهج الدين والاشراف المباشر من الامام على السلوك الفردي والاجتماعي فيما يخص هذا الجانب من الدين ولم ينقطع بوفاة النبي (ص) كما لم يزل المسلمون بعد وفاة الرسول بحاجة الى من يقوم بتطبيق التشريع الاسلامي في مجالات الحياة المختلفة غير متأثر برواسب الجاهلية وغير خاضع لسلطان النفس وتحكمات اللاشعور) (١١) .

( وقد مكثه من ذلك المركز الفريد الذي كان يتمتع به لدى النبي (ص) فهو وزيره ونجيه وامين سره وقائد جيوشه ومنفذ خططه ومعلن بلاغاته هذه المنزلة الفريدة التي لم يتمتع بها أحد من الصحابة أعدته اعدادا تاما لمهمة الحكم ، وقد كان النبي (ص) يتفنى ومن وراء اناطة هذه المهام كلها به اعداده للمنصب الاسلامي

(١٠) مجموعة محاضرات علوم القرآن - السنة الثانية .

(١١) الاصفى ، محمد مهدي ، الامامة في التشريع الاسلامي ، النجف ،

الاول ليصل اليه وهو على أتم ما يكون أهلية واستعدادا) (١٢) فقد أكد عير مرة على مواصلة تطبيق المنهج الذي سيبدأ به وانه سيسير على هدى النبي (ص) فى حكمه حيث قال ( ايها الناس انى رجل منكم لى ما لكم وعلى ما عليكم وانى حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ فيكم ما أمر به الا وان كل قطعة أقطعها عثمان وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال فان الحق لا يبطله شىء ولو وجدت قد تزوج به النساء وملك الاماء وفرق فى البلدان لردته فان فى العدل ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيـق ) .

وقد أكد هذا المعنى فى خطب كثيرة وما سمعوه من الرسول (ص) فقد اسمعهم كثيرا واليوم جاء ليؤكد ذلك ( والله ما اسمعهم الرسول شيئا الا وها آنذا اليوم مسمعموه او ما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة فى ذلك الاوان وقد أعطيتهم فى هذا الزمان ) .

فقد تناول الامام على (ع) فى الاحاديث التى رواها عن النبي (ص) فى نهجه ما يأتى :

#### ١ - الاستقامة :

فالاستقامة فى السلوك والعمل واستقامة حياته جميعا ، والاستقامة من ضرورات الايمان الصادق وذم النفاق الكاذب لان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه . . . . . وماذا عليه ولقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ( لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) (١٣) .

#### ٢ - عمل الخير وذم الشر :

ففضل الخير والاعانة عليه وتجنب الشر والاعراض عنه فان فى الخير منافع عديدة وآصال محمودة وفى فعل الشر مضار كثيرة ومفاسد مذمومة وقد أشار الى

(١٢) شمس الدين ، محمد مهدي ، ثورة الحسين ، بيروت ، ص ٣٦ .

(١٣) شرح نهج البلاغة ، ص ١١٤ .

هذا المعنى أيضا ( ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله ) وقد قال ( فاذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه واذا رأيتم شرا فاعرضوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه واله كان يقول : يا ابن آدم أعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد )<sup>(١٤)</sup> .

### ٣ - بين الجنة والنار :

فى نصيحته وتجليته للامور والتذكر بمواعظ الله فان الجنة قد توضح طريقها والنار امرها واضح أيضا الا ان الانسان قد تأخذه نشوة عز وفخر وينسى نفسه فان الله تعالى بين الحجج البالغة والامور الواضحة فقد جاء يؤكد هذا (انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله فان الله اعذر اليكم بالجلية واخذ عليكم الحجة وبين لكم مما به من الاعمال ومكآرهه لتتبعوه هذه وتتجنبوا هذه فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يقول :

( ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات )<sup>(١٥)</sup> .

### ٤ - فى شؤون الرعية :

وخير ما يوصى الامام به فى كلامه للمالك الاشر وما يلزمه فى شأن الضعيف المغلوب على امره - تعهد وعناية ورعاية - فالضعيف مهما كان ضعيفا لا بد ان يؤخذ من القوى حقه ( وتتعهد لهم جندك واعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعنت فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول : ( لن تقدر امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعنت )<sup>(١٦)</sup> .

### ٥ - المثلة :

وقد أكد هذا المعنى فى وصيته للامام الحسن (ع) حينما أحس بقرب أجله وودنو وفاته حيث ان اللعين ابن ملجم ضربه فى مسجد الكوفة والامام على (ع)

- 
- (١٤) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٢ بيروت ص ٧٨٣ .
  - (١٥) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٢ بيروت ص ٧٧٤ .
  - (١٦) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٤ ص ١٩٧ .

يؤيد قول الرسول (ص) في عدم المثلة بالرجل ولو كان كالكلب اللئيم في خيائه وفساده حيث قال ( الا تقتلن بي الا قتلى انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور )<sup>(١٧)</sup> .

## ٦ - الكذب في الحديث :

لقد كثر الوضع في الحديث على عهد النبي (ص) ووضح عاقبة هذا العمل حيث روى ( ابان عن سليم ) قال قلت يا أمير المؤمنين انى سمعت من سلمان والمقداد وأبى ذر شيئا من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي (ص) ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة عن تفسير القرآن ومن الاحاديث عن النبي (ص) تخالف الذى سمعته منكم وانتم تزعمون ان ذلك باطل افترى يكذبون على رسول الله (ص) متعمدين ويفسرون القرآن برأيهم قال فاقبل على (ع) فقال لى يا سليم قد سألت فافهم الجواب ( ان فى ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما ولقد كذب على رسول الله (ص) على عهده حتى قام خطيبا وقال : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار )<sup>(١٨)</sup> .

## ٧ - التأكيد على الصلاة :

لقد أكد مرات عدة وفي مواضع عديدة على الصلاة واهميتها والمحافظة على ادائها لانها تقرب العبد الى الله وانها عمود الدين حيث قال ( تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) . وفي موضع آخر يقول والله الله فى الصلاة فانها عمود دينكم ، وفى وصيته لمالك الاشر يقول فيها ( واذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيقا فان

(١٧) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٤ ص ١٥٥ .

(١٨) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٣ ص ٢٠ .



فى الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهنى الى اليمن كيف اصلى بهم فقال : ( صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيمًا )<sup>(١٩)</sup> .

#### ٨ - بين الايمان والنفاق :

ولقد أخبر الرسول الكريم عليا بانه بغض للمنافق وحب للمؤمن وعلامة حبه هو الايمان وعلامة كرهه النفاق حيث قال ( لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى ولو حبيت الدنيا بجلماتها على المنافق على أن يحببنى ما أحببنى وذلك انه قضى فاتقضى على لسان النبى الامى صلى الله عليه وآله انه قال ( يا على لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق )<sup>(٢٠)</sup> .

#### ٩ - منافق الجنان :

فى وصيته لمحمد بن أبى بكر فى بيان مراقبة الانسان لنفسه وان الله تعالى مطلع على السرائر وما خفى من بواطن الامور فقد قال (ع) ( ولقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى لا أخاف على امتى مؤمنا ولا مشركا ، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكنى اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون )<sup>(٢١)</sup> .

#### ١٠ - بين الطيب والخبيث :

حيث ان جميع الاعمال ظاهرها وباطنها غير خافية على الله تبارك وتعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبت لا يخرج الا نكدا ) ومعلوم لديه لا تخفى عليه خافية ظاهرا وباطنا فقد قال ( واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبت ظاهره خبت باطنه وقد قال الرسول الصادق (ص) ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه )<sup>(٢٢)</sup> .

- 
- (١٩) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٤ ص ٣٣٩ .  
(٢٠) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٤ ص ٣٥٨ .  
(٢١) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٣ ، ص ٦٦١ .  
(٢٢) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٢ ص ٦٨٣ .

## ١١ - وعظ وتذكرة :

من وصية عليه السلام للحسن والحسين في اخر ساعة من حياته بعد ان اوصاهما بتقوى الله وقول الحق قال : فاني سمعت جدكما صلى الله عليه واله يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، الله الله في الايتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانها وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم) (٢٣) .

## ١٢ - الامام الجائر :

فان السنن النيرة والسنن المعمولة قائمة فافضل عباد الله امام عادل هدى وان شر الناس عند الله امام جائر أضل وضل وانى سمعت رسول الله (ص) يقول : ( يؤتى القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحي ثم ترتبط في قعرها ) (٢٤) .

وفق الله الجميع لخدمة دينه الخفيف انه سميع مجيب .

قومي هموا قتلوا أميم أخي

فلئن رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لأعفون جدلا

ولئن صبرت لأوهن عظمي

« مهداة للمعوقين »

(٢٣) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٤ ص ١٥٥ .

(٢٤) شرح نهج البلاغة ، مجلد ٢ ص ٧٢٩ .